

سورة المعارج

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ

(1)

شرح الكلمات:

{سَأَلَ سَائِلٌ} أي: دعا داع، واستفتح مستفتح
{بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} لاستحقاقهم له بكفرهم وعنادهم.

المعنى الإجمالي:

استعجل سائل من المشركين بإيقاع العذاب بهم، وهو واقع بهم في الآخرة لا محالة، فلماذا يطلبونه استهزاء؟

أخرج الترمذي وابن أبي حاتم عن ابن عباس، في قوله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ قال: هو النضر بن الحارث، قال: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء». دعا داع وطلب طالب بإنزال عذاب واقعي. وقد قتل النضر ببدر، ففي الآية إخبار عن غيب وقع مصداقه.

ما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رأس الجبال؟! وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقته موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مر عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟! وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق والأرواح للحرق؟! لا شك إنما الذنوب، ومخالفة علام الغيوب: {فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ}.

أسباب العذاب والمهالك التي تحيق بالمجتمعات كثيرة، ومنها:

1- الظلم والكفر:

والظلم هو تجاوز الحد، وله صور أعظمها الشرك كما قال الله: {إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13].

2. الطغيان وظلم العباد:

ومن الأسباب التي تحل العذاب في الأمم استضعاف العباد وظلمهم كما قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ أَهْلَكْنَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مُّوْعِدًا} [الكهف: 59].

3. كثرة المعاصي والمنكرات وقلة الأمر بالمعروف:

ومن الأسباب التي تحل العذاب العاجل في الأمم فشو المنكرات وشيوعها، وذلك عندما تقصر الأمة بواجبها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الله: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: 25].

4. العتو والكبر والغرور:

والأمة العاتية المغرورة المستكبرة أمة تعرضت لعقوبة الله ونازعت الله ما يستحقه من الكبرياء والعظمة قال تعالى: {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى * وَقَوْمِ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى} [النجم: 50-52].

5. الغلو في الدين:

((يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) [أحمد ح3238، ابن ماجه ح3029، الحاكم 456/1]

6. كفران النعم: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: 7].

7. التنافس في الدنيا والشح بما فيها:

ومن أسباب العذاب الركون إلى الدنيا والتسابق فيها، وهو الداء الذي أهلك الأمم السابقة.

عندما تتدبر كتاب الله، ترى أسبابا جعلها الله، جعلها الله سبباً لحماية الناس من عذابه جلّ وعلا، هذه الأسباب إذا تدبرتها وجدتها أسباباً مؤثرة، جعلها الله وقايةً للأمم من حلول العقوبات والمخالفات به

1- الإيمان الحق بالله جلّ وعلا، بربوبيته، وأسمائه وصفاته، وبألوهيته، وأنه المستحق للعبادة دونها سواء.

2- دفع الفساد، وتحقيق الإصلاح من أسباب دفع العذاب، والإصلاح يبدأ من الفرد بنفسه، ثم من الأمة ككل، فإذا حصل الإصلاح ودفع الفساد؛ فإن ذلك أمان من عذاب الله.

3- من أسباب أيضا الأمن من عذاب الله، البعد عن اللهو واللعب، والإعراض عن البعدي عن اللهوي واللعي والاشتغال بالخير والهدى.

4- البعد عن اللهو والغفلة، من أسباب السلامة من عذاب الله.

5- من أسباب الأمن من العقوبة الاستغفار والتوبة إلى الله.

6- من أسباب السلامة من عذاب الله كثرة التضرع بين يدي الله، ودعائه ورجائه.

7- من أسباب السلامة من عذاب الله، رفع الظلم، والبعد عن الظلم في كل الأحوال.

8- من أسباب السلامة من عذاب الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهو صمام الأمة، يقبها عذاب الله وبأسه.

9- من أسباب السلامة من العذاب الالتجاء إلى الله والثقة بالله وعدم الثقة بالنفس وتدبير الأمور.

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (425)



سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ



فَوَائِدُهَا مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَعَارِجِ الْإِبْرَاهِيمِ 1

تهدى ولا تباع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

أَعَدَّهَا (عزمي إبراهيم عزيز)

9- إن من سنن الله وقوانينه في العالم إهلاك القرى التي تخرج عن أمره - سبحانه وتعالى - وهذه سنة ماضية **فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا** سورة فاطر 43.

10- يجب على المسلمين وهم يرون ماذا يحل بالعالم من فساد، وخراب، وما يحل من حروب، واضطرابات، وفوضى أن يرجعوا إلى الله - سبحانه وتعالى -، وأن يأمروا بالمعروف، وأن ينهوا عن المنكر، وإن الله شديد العقاب قذفاً وخسفاً ومسحاً وإغراقاً، وصيحة، وما هي من الظالمين بعبده.

11- إن أمر التوحيد ليس أمراً ثانوياً حتى نؤجله أو تؤخره بل هو الأساس الذي يقوم عليه الدين كله... فالإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة وتلك الشريعة تنظم شئون الحياة ولا يقبل الله من قوم شريعتهم حتى تصح عقيدتهم قال تعالى: "...يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة" صحيح الجامع 4338.

12- يرفع الله بها بلاءً كتبه عليه أو يخففه عنه بهذه الأسباب .. ومن هذه الأسباب وأهمها:

1- التقوى :

ومعنى التقوى كما هو معروف : هو فعل أوامر الله واجتناب معاصيه الظاهرة والباطنة ومراقبة الله في السر والعلن في كل عمل.

2- أعمال البر (كالإحسان إلى الخلق بجميع صورته)، والدعاء.

3- الإكثار من الاستغفار والذكر.

13- أن المصائب والكربات التي تصيب المؤمنين من عباده هي من عند أنفسهم سواء كانت هذه المصائب فردية أو جماعية، قال - عز وجل - : [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ] [الشورى : 30] ومن رحمته - سبحانه - أنه جعل هذه الكربات أو البلياء التي يصيب بها عباده المؤمنين بمثابة الدواء المر الذي يتجرعه المريض ليشفي من مرضه.

والله أعلم .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- حرمة سؤال العذاب فإن عذاب الله لا يطاق ولكن تسأل الرحمة والعافية.

2- للذنوب عواقب وخيمة، وأخطاراً جسيمة في الدنيا والآخرة، ومن عواقبها في الدنيا: أنها سبب من أسباب زوال النعم، وحلول النقم.

3- لو رأيتم يا أهل الذنوب ما قد أثبت عليكم في الديوان، من الخطايا والعصيان، والزور والبهتان، والزيادة والنقصان، والغفلة والنسيان، لعظمت منكم المصائب، وكثرت منكم النوايب، ولسارعتن إلى الثواب والرغائب، ولتنتن إلى رب المشارق والمغارب 4- ليس شيء أنجى للمؤمن من عذاب الله من ذكر الله، وأكثر ما يجد المؤمن في صحيفته يوم القيامة الاستغفار في الليل والنهار.

5- الله جلّ وعلا يُنزلُ عقوبته على من خالف شرعه وخالف دينه، وتَمَرَّدَ عن الطريق المستقيم، وقد قص الله علينا في كتابه نبأ الأمم مع أنبيائهم، وما حلَّ بهم من العقوبة نتيجةً لذنوبهم ومعاصيهم، ومخالفتهم أمر أنبيائهم، وهذا القصصُ للعظة والعبرة حتى لا نسلك مسالكهم فننجم من عذابٍ بفضل الله وكرمه.

6- لا أمن للأمة، إلا بتمسكها بدين الله، وإقامتها لحدود الله، وتنفيذها لشرع الله؛ فيه تأمنُ الأمةُ على دمائها، وأموالها، وأعراضها.

7- توحيد الله - عز وجل - وإخلاص العبادة له ، هو المطلوب الأسمى ، والركن الأقوى ، والملجأ الأعظم للأنبياء والأتقياء من عباد الله ، في كل كرب وضائقة وشدة.

8- هل تريد النجاة من عذاب الله؟

اذن إركب سفينة النجاة ، تعرف على الله ، تريد أن يكون الله معك فاحرص على تقواه ، اذا اردت ان تحفظ على نفسك واهلك ومالك فأحفظ الله .